افتتاحية العدد

ثورة التصميم والتعليم الرقمي

مقدمه في التصميم

الإنسان وفي كل محيط يترك أثراً، من خلال فكره، مظهره وتصرفاته. فهكذا يتشكل الجزء الرئيسي من هويته. العلاقة المتبادلة بين هذه الأجزاء تعكس مدى قيمة هذه الاشياء وتفاعلها بالمحيط. وتعطي الصورة المتكاملة عن الشخص. هذه الصورة تتأثر بهوية الانسان وعلاقته بمحيطه.

هذا التبادل والإمكانيات المتحصلة منه تعطي الإنسان أو الشركة امكانية إظهار نفسها بالمظهر المطلوب وتعمل على تحقيق هويتها بالصورة المطلوبة وتضعها بالموقع المطلوب.

الهوية وأدواتها مثل المظهر، التصرف والتواصل ليست بحالة ثابتة إنما بحركة متواصلة ومتفاعلة، لان التصميم هو أحد أهم أدوات إظهار هوية الشخص أو الشركة.

فمنتجات التصميم تحيطنا في كل مكان، نستعملها في حياتنا اليومية أو نحلم الحصول عليها إذا كانت بعيدة. علاقتنا بها كمستهلكين تربط بين جمالية المنتج واستخدامه والفائدة المتوقعة منهُ. الثورات الصناعية وخصوصا الرابعة التي نحن الان نعيشها، هي ثورة رقمية بحثية، اختصرت الوقت بين المنتج والمستهلك. تضع مهارات جديدة امام تصرفه وتقدم له خدمات اضافية وان كان لا يحتاجها وتنور طريقه لحل مشاكله بصورة اخرى، فالطابعة الثلاثية الابعاد كمثال وليس حصر واحدة من هذه الحلول. فالثورة التكنولوجية التي نعيشها أنعشت التصميم ووضعته بأيدي المستهلك، بذلك انتشر نطاق العمل بالتكنولوجيا الجديدة والتصميم المناسب الى كل فأت الشعب وبذلك هي ثورة التصميم، التي كسرت الحدود مثل الانترنت.

فتطور التقنية وتعدد الخامات وضعت التصميم بالموقع الصحيح، ليقوم بكل هذه المنتوجات التي تتكاثر بشكل غير طبيعي وتأخذ محيط كبير من حياتنا اليومية. التصميم كعلم وليس فن، غير حياتنا تغيير كامل، وممكن نقول غيّر العالم ولهذا السبب نتكلم بمصطلح ثورة التصميم لان حياتنا اصبحت سهلة وأجمل.

للتصميم جوانب اخرى عدى الجوانب الجمالية. هنالك جوانب اقتصادية، اجتماعية، علمية وأهمها العملية. لان الهدف الأكبر للتصميم هو حل مشكلة انسان، منتوج او مؤسسة او بلد. فالملتقي والمتفهم ينتظر من التصميم الجانب المناسب ومن هنا نقدر نحدد جودة التصميم من خلال الإجابة الكاملة على حاجة المستهلك. ومن هنا خدمه التصميم للإنسانية. فالمصمم عندما يخدم المستهلك يكون قد وحّد بين الجمالية والعملية بنظرة مستقبلية من واقع المنتوج. وإن كانت الوظيفة هي المبدئ الاساسي الذي تعمل من أجله فالجانب الجمالي هو جانب فلسفي له أقصر الطرق الى قلب الانسان وإلى تغيير وضعه النفسي الى الاحسن.

التصميم وان يعطي اجابات سريعة على الكثير من هذه اسئلة الحياة، فهو يفتح آفاق جديدة للمصمم، والمتمرنين من المصممين يعطيه فكرة كاملة عن كل الادوات التي تسهل عمله اليومي، إضافة إلى النتائج إذا كانت ملموسة او بصرية، فهذا التفاعل هو متعة المصمم التي تضعه بدور أخر عن اي إنسان مبدع. لذلك أصبح هو خارج ميزان الاعتدال اليومي الذي يعيشه الانسان البسيط، ليصل الى الجانب الأخر الذي يحلم به الكثير.

مستقبل التصميم يتوقف على مدى خدمته للمستهلك، المجتمع والبيئة. ومن هنا تحدد ثقافة المصمم بمدى ارتباطه بهذه النظم والتعامل معها لخلق مستقبل جديد. فتصميم المستقبل سوف يستند على البساطة، لان التصميم الجيد سوف يكون غير مرئي. والمصمم الجيد سوف يكون المصمم الذي يحل مشاكل المستهلك ويقدم له الحلول ليس فقط من جانب ابداعي انما من جانب عملي وذو فكر ونظرة مستقبلية جديدة، وهو كذلك الانسان الفضولي.

ولكن التصميم لحد الآن لم يحتل موقع قوي ومناسب في المشهد البصري العربي العام، وفي عالمنا بالخصوص، ولهذا السبب تبقى هذه العلاقة غير وطيدة، والسبب يعود لعدم وجود التصميم كمادة دراسية في المدارس الإبتدائية، والثانوية، وعدم وجود المحيط العائلي الذي يساعد على فهم التصميم، إضافة لعدم وجود أي موقع للتصميم في المحيط العربي الذي ينمي هذه القدرات، وعدم وجود مراكز للتصميم، عدم وجود جمعيات للتصميم، ولهذا السبب نجد قيمة التصميم في البلاد العربية متدنية او فقيرة، رغم أن التصميم يلعب دوراً تقدمياً في تقدم الاقتصاد في البلدان وخصوصا الرأسمالية.

العالم العربي لا يزال فقيرا كل الفقر في التصـميم، رغم وجود مجموعة صـغيرة من المصـممين هنا وهناك. فواقع التصـميم يعكس واقع المجتمع العربي من كل جوانبه، فمفهوم التصـميم كمصـطلح متعارف عليه، غير معروف في بلادنا، وليس له أي قيمة تذكر، إلا بعض المحاولات الصغيرة، وأغلبية المنتوجات العربية لم تصمم بالمستوى المطلوب، لا سيماً وسائل الإيضـاح والإرشـاد الغير متوفرة، إن كانت في العمارات، أو الشـوارع العربية. وقيمة المصـمم العربي في بلادنا شـبه معدومة وهذا يلعب دور بتذوق الزبون للتصـميم. الجواب على هذا السـؤال هو: عندما ترى منتوج عربي ناجح ومصـمم في البلاد العربية معناه نحن في الطريق الصحيح.

ولكن كيف تطور التصـميم في اوربا وعندنا وكيف سـوف نواكب هذا التطور. في سـنة 1972 لغي في المانيا مصـطلح كرافك ديزاين وحل محله مصـطلح جديد اسـمه التواصـل البصري، وهذا المصطلح دليل على تطور التصميم وخصوصا دخوله في عالم الصناعة كحلقة وصـل. وبعد الثورة الرقمية بدأت المصـلحات التصـميمية تتغير بسـرعة جدا، الكثير من الوظائف ألغيت واكل الدهر عليها وشـرب ووجدت وظائف كثيرة ومتنوعة ونحن نواجه حركات تصـميمة جديدة مرتبطة بمصـطلحات جديدة ومسـميات لا نجد لها احيانا اي مثيل في لغتنا. سـرعة التقدم هي جزء من معاناة التصـميم العربي، لان المصـمم العربي المتابع سـوف يتطور ولكن المحيط المصـطلحاتي لايزال كما هو، الاغلبية لاتزال تسـتعمل كلمات قديمة مثل كلمة كرافك ديزان.

في هذه الفترة التي يسميها البعض بفترة الثمانينات انتشرت من مصر الى العالم العربي الملصقات السينمائية الجميلة ذو الطابع الدعائي المرسوم وبدأت فترة الاعلان تأخذ حيز كبير من التصميم العربي، رغم ان مهمة التصميم الاصلية هي جوهرية لأنها ذات مسؤولية وليست مسألة عاطفية او جمالية.

فمسـتقبل التصـميم يتحدد من خلال فهمنا لمصـطلح المسـتقبل، لان المسـتقبل هو الوقت الـذي يتبع الحـاضـر، فـالخيـال خطـة وهميـة وغير واقعيـة بغض النظر على الظرف المعاصـرة، فالتصـميم الان وفي المسـتقبل هو ايجاد الحل ذات الصـلة بالمنتج او الزبون او المؤسسـة. فالتصميم هو اظهار هوية المؤسسـة بحيث يشارك الزبون بالمشروع منذ البداية الى

النهاية. وبما ان التصميم يتجاوز الحدود فسوف تقاس المنتوجات في المستقبل أكثر على جودتها التصميمية. فالزبون سوف يحصل على بضاعته بالحجم المناسب من خلال الطابعة الثلاثية الابعاد، وهنا سو تصاغ حقوق التأليف والنشر والتصميم من جديد. فالواقع الافتراضي هو مجرد بداية فكثير من الموضوعات والادوات سوف تتفاعل مع الواقع الافتراضي.

فمشاكل القطاع العام مثل الازدحام والتلوث تحتاج الى خبرة كثيرة في المستقبل. ضرورة التصميم المستدام زادت، فالتصميم سوف يضمن من اي وقت مضى الاحتياجات الايكولوجية والاقتصادية والاجتماعية، والمصمم يصبح اكثر كوسيط بين الشركات والمستهلكين. فالعلاقة بين التصميم والتكنولوجيا سوف تصبح ضيقة. فتعليم التصميم الرقمي في المستقبل سوف يكون بمنظور جديد يختلف عن منظور التعليم كما نعرفه كمقياس للمراسلات بين المعرفة الشخصية للطالب ووجهة النظر العالمية والواقع. فالثورة الرقمية تتطلب من المصمم الى تحويل كبير ليس فقط الى هذا العالم الرقمي انما الى تفكير جديد. فن وجود الطالب في الجامعة لم يعد في الكامل ضروريا للغاية ويستطيع التواصل مع الطلاب الذين يعيشون في اماكن مختلفة عبر الفيديو ويتبادلون المعرفة بينهم. وهذا يتطلب من الجميع التكييف السريع لجميع المعنيين، الامر الذي قد يتسبب في صعوبات، خاصة بناء على معرفتهم التكنولوجية السابقة، خاصة لموظفي الجامعة.

فإمكانية التغيير تكون بزيادة الاستثمار في البنية التحتية الرقمية، والتي يمكن أن تقلل من تكاليف التشغيل على المدى الطويل وتجعل المؤسسات التعليمية أكثر مرونة، ويمكن الاستعانة بمصادر خارجية للاتصالات والمحتوى لما يسمى الغرف الرقمية لتخفيف العبء على العمليات الجامعية.

فالمساحات الرقمية هي مساحات افتراضية عبر الإنترنت يمكن الوصول إليها للاتصال وتبادل المحتوى. فالمحتويات سوف تكون متوفرة في أي وقت تعلم بالسرعة التي تناسبك. وتصميم أكثر كفاءة لأوقات العمل وأكثر مرونة في أوقات الأزمات مثل كورونا، معناه العمل وتعلم المزيد بشكل مستقل.

ولكن القيمة المضـافة للتعليم الرقمي هي التواصـل بين المعلمين والطلاب عبر الحدود المكانية والزمنية للتدريس وفتح التواصـل الداخلي، وتوسـيع المحادثات، وتوسـيع الاتصـالات الخارجية مثل الاحتمالات الجديدة للتواصل العالمي مع المحاضرين الضيوف، إلخ

فعندما نتكلم عن تحسين وتوسيع مهارات التواصل بين الطلاب والمعلمين. نقصد إعادة هيكلة محتوى التدريس المألوف وإعادة تصميمه، وزيادة التركيز على المحتوى السمعي والبصري والرقمي. وزيادة مشـاركة المعلمين والطلاب في عمليات إنشـاء المحتوى الرقمي وزيادة فحص المسؤولية الشخصية عن المحتوى الرقمي والانفتاح حول نشر المحتوى وخفض الرادع فيما

يتعلق بمشـاركة المحتوى وغيرها مثل فتح الباب للتقييم الذاتي والنقاش مع المجتمع الرقمي وتعزيز التعاون متعدد التخصصات وعبر الثقافات والقضاء على المشاكل اللوجستية والقيود المحلية فيما يتعلق بالاتصـال والتعاون النشـط وإنشـاء مهام جديدة، والتغلب على الحواجز الغير معروفة.

وهذه تتطور يوميا وتزداد مثل توفير نبضات جديدة، والتواصل مع مولدات النبض في شـبكة التواصـل الاجتماعي الداخلية والخارجية. وربط التصـميم الفن والحرف اليدوية في الفضـاء الرقمي وتطوير الفهم المشـترك للإبداع والاهتمام بالمحتوى المتنازع عليه وتفكيك سـلسـلة المراتب الهيكلية والهرمية في نطاق العمل الجديد ونظام مفتوح واسـع النطاق وتوثيق دائم لمحتويات مختلفة الوصـول السـريع إلى مجموعات البيانات المدمجة. فجمع محتويات الدراسـة بنقرة واحدة فقط تنوع مصـادر عمل وتدريس في نظام متكامل ومسـتقبلي وهذا ما نسميه بثورة التصميم والتعليم الرقمي.

ريان عبد الله

14.03.2022